٢ ـ اعتياد السامع التفكير السليم. والأسلوب القويم.

٣ ـ ثبات الحوار في النفس لتشغيل أكثر من حاسة في تفهُّم أبعاد الحوار.

٤ ـ يُعلِم الدقة في الاستنتاج والطرح(١).

والقرآن الكريم يستعمل أسلوب الحوار بكثرة، فما تكاد تقرأ سورة إلا والحوار عماد فيها وأساس من أسسها.

ومن أمثلة الحوار ما كان من سيدنا نوح عليه السلام مع ابنه «في مشهد رهيب لا يوجد مثله إلا في النص القرآني العظيم تتجلى فيه صلة الأبوة بالبنوة، في لحظات حاسمة وموقف خطير»(٢)، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ٤٠ وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٖىهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ٤١ وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٤٢ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ٤٣﴾ [هود].

ومن خلال هذا الحوار الأبوي يتضح الحرص ومدى الشفقة والاهتمام بمصلحة هذا الابن بضمه إلى طائفة المؤمنين وعدم الانسياق وراء قادة الضلال وأتباع الهوى والشياطين.

ومن أمثلة الحوار أيضاً ما كان من حوار يعقوب عليه السلام مع ابنه يوسف عليه السلام وباقي إخوته، وقد تجلت في هذا الحوار أسس تربوية وقواعد منهجية لتربية الناشئة والسير بهم في طريق واضح يجنبهم

(١) انظر: من أساليب التربية في القرآن ص٣٧٧.
(٢) آباء وأبناء ملامح تربوية في القرآن ص١٧.

ـ بعد رعاية الله تعالى ـ الوقوع في الخطأ: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ۝٥﴾ [يوسف].

وكان هذا جواباً حوارياً لإخبار يوسف لأبيه برؤيته للحلم: ﴿إِذۡ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ ۝٤﴾ [يوسف].

❐ رابعاً: النصيحة:

وقد ينص عليها بالوصية في القرآن الكريم: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُۚ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ۝١٣٢ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِي قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ۝١٣٣﴾ [البقرة].

ويقول ابن كثير[1] رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره موضحاً هذه الوصية: «أي: أحسنوا في حال الحياة والزموا هذا ليرزقكم الله الوفاة عليه، فإن المرء يموت غالباً على ما كان عليه، ويبعث على ما مات عليه، وقد أجرى الله الكريم عادته بأن من قصد الخير وفق له ويُسر له ومن نوى صالحاً ثبت عليه»[2].

ويستنبط من وصية إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أن الوصية بعقيدة التوحيد وما تشتمل عليه من سلوك ومكارم أخلاق هي أهم ما يوصي به الأب أبناءه في كل أطوار حياتهم حتى يلقوا ربهم وهم عليه.

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) تفسير ابن كثير ١/ ١٦٣.

فينبغي على الآباء أن يكونوا في غاية الحرص على أبنائهم بتوجيههم وإرشادهم إلى اتباع دين الله والتمسك به، فإن هذا خير ما يقدمه الوالد لولده، إذ به ينقذه من سخط الله وعذابه، ويضعه في محل رضوانه ومحبته ﷻ، كما أن من فوائد الاهتمام بصلاح الأولاد الإبقاء على صلاح الذرية التي تتلوهم من بعدهم في الأغلب لأنهم هم ـ كذلك ـ سيهتمون بأبنائهم هذا الاهتمام لكونهم على طريقة آبائهم من الصلاح والدعوة إليه»[١].

ومما يذكره الفخر الرازي[٢] رَحِمَهُ اللَّهُ حول ما يستفاد من هذه الوصية قوله: «اعلم أن هذه الحكاية اشتملت على دقائق مرغبة في قَبول الدين:

أحدها: أنه تعالى لم يقل: وأمر إبراهيم، بل قال: ووصى.. ولفظ الوصية أوكد من الأمر، لأن الوصية عند الخوف من الموت، وفي ذلك الوقت يكون احتياط الإنسان لديه أشد وأتمَّ، فإذا عرف أنه عليه السلام في ذلك الوقت كان مهتماً بهذا الأمر فشدد فيه كان القول إلى قبوله أقرب.

وثانيهما: أنه عليه السلام خصَّص بنيه بذلك، وذلك لأن شفقة الرجل على أبنائه أكثر من شفقته على غيرهم، فلما خصَّصهم بذلك في آخر عمره علمنا أن اهتمامه بذلك كان أشد من اهتمامه بغيره.

وثالثهما: أنه عمَّم بهذه الوصية جميع بنيه ولم يخص أحداً منهم، وذلك يدل على شدة الاهتمام.

ورابعهما: أنه عليه السلام أطلق هذه الوصية غير مقيدة بزمان معين ومكان

---

(١) القصص القرآني الكريم بين الآباء والأبناء، عماد زهير حافظ ص١٥٨. رسالة ماجستير.

(٢) سبقت الترجمة له.

معين، ثم زجرهم أبلغ الزجر عن أن يموتوا غير مسلمين، وذلك يدل أيضاً على شدة الاهتمام بهذا الأمر.

وخامسهما: أنه عليه السلام ما مزج بهذه الوصية وصية غيرها، وهذا يدل على شدة الاهتمام بالأمر.

ولما كان إبراهيم عليه السلام هو الرجل المشهود له بالفضل وحسن الطريقة وكمال السيرة ثم عرف أنه كان في نهاية الاهتمام بهذا الأمر، عرف حينئذ أن هذا الأمر أولى الأمور بالاهتمام وأحراها بالرعاية والقبول»[(١)].

ويستفاد من قوله: ﴿وَوَصَّىٰ﴾ بأن وصية إبراهيم عليه السلام لأبنائه ليست مرة واحدة بل كانت مرات لأن وصى يقتضي التكثير»[(٢)].

وبناء عليه ينبغي على الآباء أن لا ينتابهم ملل في إلحاحهم على أبنائهم بالوصايا المتكررة بل لا بد من الاستمرار ما دام الآباء على قيد الحياة من وعظ ونصح ودعوتهم إلى ما فيه صلاحهم.

وأيضاً وصى يعقوب عليه السلام بنيه عند احتضاره في قوله: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [البقرة].

جاءت هذه الوصية عند احتضاره، وهذا يدل على أهميتها لأن ذلك وقت الحرص بتعجيل إبلاغ أهم النصائح إلى الموصين إذ أنها آخر كلام الذي يُحتَضَر، وفي المقابل تكون هذه الكلمات لها أكبر الأثر في نفوس من يوصيهم، إذ الموصي يكون أشد اهتماماً وانتباهاً وحرصاً على تلبية ما يطلبه ويوصيه به موصيه، خصوصاً إن كان الموصي أحد الوالدين

(١) التفسير الكبير ٤/٦٦.
(٢) المحرر الوجيز ١/٢١٣.

فذلك من برهما والوفاء بحقهما[١].

ووصية يعقوب ـ كما نلاحظ ـ جاءت بطريقة غير مباشرة، إذ كانت بأسلوب الاستفهام، وذلك لينظر عليه السلام مقدار ثباتهم على الدين، ثم يجيب الأبناء على هذا السؤال فيقولون وملء قلوبهم الإيمان: ﴿نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣].

وجوابهم هذا يطمئن قلب يعقوب ويقرّ عينه بأبنائه وهو في هذه اللحظة الخاتمة الأخيرة.

كما أن جوابهم عما أتوا به معرفاً بالإضافة إذ قالوا: ﴿نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ﴾ ولم يذكروا الاسم العلم بأن يقولوا: نعبد الله، لأن إضافة لفظة (إلـٰه) إلى ضمير يعقوب وإلى آبائه تفيد جميع الصفات التي كان يعقوب وآباءه يصفون الله بها، ففيه إيماء إذاً إلى أنهم مقتدون بسلفهم، ليزيد اطمئنانه عليه السلام ويتيقن أنهم على الصراط المستقيم في دين الله، ولن يبتدعوا شيئاً في هذا الدين بل هم متبعون لا مبتدعون[٢].

«وبتلك الإجابة الممتازة الوافية تمت وصيته عليه السلام بهذا الأسلوب، وتحقق له ما كان يريد الإيصاء به، وهو الالتزام بتوحيد الله ودينه والخضوع له سبحانه»[٣].

❁ ❁ ❁

(١) انظر: القصص القرآني الكريم بين الآباء والأبناء ص٢٥٣.
(٢) انظر: التحرير والتنوير ١/ ٧٣٣.
(٣) القصص القرآني الكريم بين الآباء والأبناء ص٢٥٤.

المبحث الخامس عناصر الآداب القرآنية للناشئة وأساليبها في مجال معاملة الوالدين والإخوة

❐ أولاً: عناصر الآداب القرآنية للناشئة وأساليبها في مجال معاملة الوالدين:

إن الإنسان في حياته يحتاج إلى منهج واضح يسير عليه في تعامله مع الآخرين وخاصة مع والديه اللذين هما سبب وجوده واستمد منهما كل معونة ومساعدة حتى صار إنساناً واعياً يفرق بين الغث والسمين، وبين الخير والشر(١).

وقد جاء المنهج القرآني موضحاً سبل الإحسان والشكر للوالدين والبر بهما سواء كان براً بالأقوال أو بالأفعال.

وبرُّ الوالدين هو: التوسع في الإحسان إليهما، فالبِرُّ ضد العقوق(٢) قال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾ [الممتحنة].

ومن معاني البِرُّ «الصلة والجنة والخير والطاعة والحج والاتساع في الإحسان وحسن الخلق»(٣).

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٣/ ٣٤٧، وتربية الأطفال في ضوء القرآن والسُّنَّة ٢/ ٥٩٥، ٥٩٦.

(٢) المفردات في غريب القرآن ص٥١، ومختار الصحاح ص٤١، وبصائر ذوي التمييز، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ٢/ ٢١٣.

(٣) انظر: مادة: (ب ر ر) في مختار الصحاح ص٤١، ومقاييس اللغة ص١٠٧ ـ ١٧٨، ولسان العرب ٢/ ٥٨، والقاموس المحيط ١/ ٤٤٤، والنهاية في غريب الحديث ص٧٢.

ويقال: بَرَّ أباه فهو بارٌّ وبَرٌّ... وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ﴾ [مريم: ١٤].

وقوله: ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى﴾ [مريم: ٣٢]، فالبَرُّ بمعنى البارّ، وهو الكثير البِرّ(١).

«وجمع البارَّ أبرار وَبَرَرة»(٢)، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ [الانفطار].

وقال في صفة الملائكة: ﴿كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [عبس](٣).

ومن أبرز الآداب القرآنية في معاملة الوالدين:

١ ـ برُّ الوالدين بالأقوال في القرآن الكريم:

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾ [الإسراء].

وقد خصَّ سبحانه مرحلة كِبَرَ الوالدين «لأنها مظنة تحقق الإحسان، بما يلقى الولد من أبيه وأمه من مشقة القيام بشؤونهما، ومن سوء الخلق منهما، فطول المكث للمرء يوجب الملل ويكثر الضجر فيظهر غضبه على أبويه، وتنتفخ أوداجه»(٤). وقد أشارت الآية الكريمة السابقة إلى مواضع برَّهما ومراتب الرعاية والأدب عند مخاطبتهما والحديث معهما.

فأول مراتب الرعاية والأدب ألا يصدر من الولد ما يدل على الضجر والضيق، وما يوحي بالإهانة وسوء الأدب مع الوالدين: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾، فلا يُسمعهما القول السيئ حتى وإن كان التأفيف الذي هو أدنى المراتب من القول السيء.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٨٤.
(٢) المفردات في غريب القرآن ص٥١.
(٣) انظر: المفردات في غريب القرآن ص٥١.
(٤) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ١٠/ ٢١٢، والتحرير والتنوير ١٥/ ٦٩.

ومن أدب الحديث مع الوالدين أيضاً عدم الحديث معهما والابن يصيح في وجوههم كما قال ﷻ: ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾؛ أي: يبتعد عن كل حديث وخطاب فيه زجر وغلظة[١]، وإذا كان الكلام طيباً وحسناً وفيه توقير وتعظيم فهو القول الكريم: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ «أي: ليناً لطيفاً مثل: يا أبتاه ويا أمّاه من غير أن يسميهما ويكنيهما»[٢].

ومناداة الأبناء للوالدين باسمهما مجانب لبرهما الذي يستوجب مناداتهما بما يشعر التحنن والترقق وإثارة مشاعر الأبوة والأمومة بقوله: «يا أبي أو يا أمي أو والدي أو والدتي» اقتداء بالأنبياء عليهم السلام في مناداتهم لآبائهم، فهذا إبراهيم عليه السلام ينادي والده في حوار مفعم بالأدب في حديثه مع والده وهو يريد نصحه وإنقاذه من الكفر، كما حكى ذلك ﷻ في كتابه الكريم: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾﴾ [مريم].

ومن خلال هذه الآيات الكريمة يتبين لنا نموذج الابن البار بأبيه في تعامله مع والده إذا أراد نصحه عندما يجانب الحق والصواب، «فإذا رأى الولد أن ينصح لأحد أبويه أو أن يحذره مما قد يضرَّ به أدى ذلك بقول ليّن حسن الوقع والتأثير عليه»[٣]. فيخاطبه بقول كريم، وقد سئل سعيد بن المسيب رضي الله عنه[٤] عن هذا القول الكريم فقال: «قول العبد المذنب للسيد الفظّ الغليظ»[٥].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٣/ ٣٢، وفي ظلال القرآن ٤/ ٢٢٢١.
(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٢١٤.
(٣) التحرير والتنوير ١٥/ ٧٠.
(٤) سبقت الترجمة له.
(٥) الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٢١٤.

إن سب الآباء أو شتمهما أو حتى التسبب في سبِّهما من قبل الآخرين يجانب القول الكريم الذي أمر الله به، وعدَّ الرسول ﷺ ذلك من الكبائر: «**إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه**، قيل: يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: **يسب الرجل أبا الرجل فيسبّ أباه ويسبّ أمه**»(١).

ومن البر القولي بالوالدين الدعاء لهما، فهو من أعظم الطاعات وأجل القربات، والوالدان يستحقان من دعاء ولدهما النصيب الأوفى في حياتهما بأن يدعو لهما بالثبات على الإيمان والعفو والعافية وحسن الخاتمة، وأن يشرح صدورهما وأن يكفيهما الهم والحزن، وغير ذلك من الدعوات الصالحة.

ويدعو لهما بعد مماتهما، ويستغفر ويترحم عليهما، ويطلب العفو والغفران لهما لما كان منهما من تربيته وهو صغير على تربيتهما عندما كان صغيراً ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾ [الإسراء: ٢٤]. «وفي الآية الكريمة إيماء إلى أن الدعاء للوالدين مستجاب، لأن الله أذن فيه»،(٢) ولقول الرسول ﷺ: «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعو له**»(٣).

والمتأمل في هذه الآية الكريمة يرى أن الله تعالى خصَّ التربية بالذكر «ليتذكر العبد شفقة الأبوين وتعبهما في التربية فيزيد ذلك إشفاقاً

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب لا يسب الرجل والديه، رقم الحديث (٥٩٧٣)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الكبائر وأكبرها رقم الحديث (٩٠).

(٢) التحرير والتنوير ١٥/ ٧٢.

(٣) سنن الترمذي، باب الأحكام، كتاب الوقف برقم حديث (١٣٧٦). قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
قال الشيخ الألباني: صحيح في سنن الترمذي ص٣٢٥.

وحناناً عليهما»[١].

وكان الأنبياء عليهم السلام يبرُّون آباءهم حتى في الدعاء، فهذا سيدنا نوح عليه السلام يدعو دائماً لنفسه ولوالديه وللمؤمنين بقوله: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [نوح: ٢٨].

وكان سيدنا إبراهيم عليه السلام يدعو لوالديه قائلاً: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾ [إبراهيم].

وذكر ابن كثير[٢] رحمه الله في تفسيره أن سيدنا إبراهيم عليه السلام كان يستغفر لأبيه مدة حياته، فلما مات على الشرك وتبين إبراهيم ذلك رجع عن الاستغفار له وتبرأ منه[٣]، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ [التوبة: ١١٤].

وسيدنا سليمان عليه السلام دعا إلى ربه شكراً له سبحانه تعالى على نعمه التي أنعمها عليه وعلى والديه قائلاً: ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

٢ ـ بر الوالدين بالأفعال في القرآن الكريم:

١ ـ بالتواضع وخفض الجناح لهما:

وفي ذلك يقول سبحانه: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء].

فهذا الذل ناشئ عن الرحمة «لا عن الخوف منهما، أو الرجاء لمالهما ونحو ذلك من المقاصد التي لا يؤجر عليها العبد، بل يجعل

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٢١٥.
(٢) سبقت الترجمة له.
(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم ٢/ ٣٤١.

الإنسان نفسه مع أبويه في خير ذلة في أقواله وسكناته ونظره، ولا يحد إليهما بصره فإن تلك هي نظرة الغاضب»[(١)].

٢ ـ الشكر لهما:

وشكر الله تعالى قد يكون بالقول وقد يكون بالفعل: «والمؤمن البار بوالديه يتوجه إلى الله ﷻ دائماً يشكره ﷻ على نعمه التي أنعم بها عليه وعلى والديه، وفي ذلك يقول سبحانه: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الأحقاف].

فقد أمر الله ﷻ الأبناء بتوجيه الشكر إلى الله ﷻ المنعم الأول على الإنسان، فقد أمرهم توجيه الشكر للوالدين المنعمين التاليين، وفي ذلك يقول سبحانه: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [لقمان].

والشكر لهما بالإحسان إليهما «بالقول اللين والكلام اللطيف والفعل الجميل وإكرامهما واجتناب الإساءة إليهما، وقد بيَّن سبحانه السبب الموجب لبر الوالدين في الأم فقد حملت به مشقة على مشقة فلا تزال تلاقي المشاق من حين يكون نطفة من الوحم، والمرض، والضعف، والثقل، وتغير الحال، ثم وجع الولادة ثم حضانته وكفالته ورضاعته»[(٢)].

ومما ينبغي التأكيد عليه أن القرآن حينما يأمر ببر الوالدين والإحسان إليهما فإن ذلك الأمر واجب في كل وقت وفي كل لحظة،

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٢١٤، وانظر: تفسير السعدي ص٤٥٦.
(٢) تفسير السعدي ص٦٨٤ بتصرف.

وشتان ما بين من يجعل للأم يوماً واحداً في العام ويتخذه عيداً لها يكرمها فيه، وبين من يجعل كل أيام العام وساعاته، بل كل أيام العمر عيداً للأم تجد فيه الحنان والسعادة من قبل أبنائها من حولها ولا تجد إلا كل التقدير والحب والاحترام[١].

٣ ـ النفقة عليهما:

إن النفقة على الوالدين من أعظم البر بهما[٢]، فالنفقة عليهما واجبة، وقد أمر الله تعالى بها وبيَّن أنه من خير ما ينفقه الإنسان قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [البقرة: ٢١٥].

يقول ابن تيمية[٣] رَحِمَهُ اللَّهُ: «على الولد الموسر أن ينفق على أبيه وزوجة أبيه وعلى إخوته الصغار، وإن لم يفعل ذلك كان عاقاً لأبيه قاطعاً لرحمه مستحقاً لعقوبة الله تعالى في الدنيا والآخرة»[٤]، فيلزم الابن على قدر حاله القيام على خدمتهما وإكرامهما بتقديم الطعام والشراب والكسوة والعلاج ودفع الأذى وغير ذلك. لأن الابن وما يملك ملك لأبيه كما جاء في الحديث عن الرجل الذي قال: يا رسول الله إن لي مالاً وولداً وإن والدي يجتاح مالي، فقال: «**أنت ومالك لوالدك**»[٥].

٤ ـ الرفق بالوالدين وتخليصهما من الهموم والأحزان:

ومن أمثلة ذلك ما فعله إخوة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ حين رأوا أباهم في غاية الحزن: ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ

(١) انظر: في ظلال بر الوالدين، عبد الله إبراهيم أبو بكر ص٦١.
(٢) انظر: تفسير السعدي ص٩٦. (٣) سبقت الترجمة له.
(٤) مجموع الفتاوى ٣٤/ ١٠١.
(٥) أخرجه أبو داود، كتاب البيوع، باب الرجل يأكل من مال ولده، برقم حديث (٣٥٣٠). قال الشيخ الألباني: حسن صحيح في سنن أبي داود ص٥٣٥.

ٱلْهَـٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [يوسف][(١)].

وفي هذه الآية الكريمة لفتة كريمة تدعو الأبناء إلى الرفق بالآباء وتهوين ما يحل بهم من مصائب وابتلاءات، وأن يبذلوا وسعهم في تخليصهم من الهموم والأحزان على قدر استطاعتهم؛ لأن هذا من البر وحسن الصحبة بهم، فالأبناء هم أفضل من يهوِّن على الآباء ويزيل عنهم الأحزان[(٢)].

٥ ـ إدخال السرور عليهما:

إن إدخال السرور على الوالدين مطلباً عظيماً يدعو القرآن الكريم الأبناء للقيام به، وقد ضرب نبي الله يوسف عليه السلام أعظم مثلاً في ذلك «فهو لم ينتظر أباه حتى يأتيه، بل ساق إليه البشرى بإرسال قميصه إليه مع إخوته تعجيلاً لمسرته وإنهاء لمحنته، وذلك لأنه حين يلقى على وجهه القميص يرتد بصره، فهذه مسرة بذاتها، ثم يثق بأن يوسف حيّ وهذه مسرة أعظم من الأولى. وبذلك أدخل عليه السرور قبل أن يصل إليه: ﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَـٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [يوسف]، فليبادر الأبناء إلى إدخال السرور على والديهم خصوصاً في المواطن التي يغلب عليهما حال الحزن، فإن ذلك من البر وحسن الصلة»[(٣)].

٦ ـ طاعتهما في غير معصية:

من بر الوالدين تلبية ندائهما والمسارعة لقضاء حوائجهما وطاعة أمرهما دون مقاطعة في كلامهما أو مجادلتهما أو معاندتهما أو لومهما، أو السخرية منهما، وتجنب الضحك بحضرتهما، وتجنب الاعتراض على

---

(١) والحَرَض: المتهالك الضعيف المشرف على الهلاك. انظر: المفردات في غريب القرآن ص١٢١.
(٢) انظر: القصص القرآني الكريم بين الآباء والأبناء ص٢٣٨.
(٣) القصص القرآني الكريم بين الآباء والأبناء ص٢٤٣ بتصرف.

قولهما، إلا إذا كان أمراً بمعصية فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق تنفيذاً لقوله تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ﴾ [لقمان: ١٥].

◻ ثانياً: الأساليب القرآنية في آداب معاملة الوالدين:

١ ـ التوصية ببر الوالدين:

«إن من لطف الله تعالى بعباده وشكره للوالدين أن وصى بهما الأولاد وعهد إليهم أن يحسنوا إلى والديهم»[(١)]، قال ﷻ: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ١٤﴾ [لقمان].

وقال في موضعين آخرين: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗاۖ﴾ [العنكبوت: ٨، الأحقاف: ١٥].

فالملاحظ في هذه الآيات الكريمة أن الله تعالى ابتدأ في كل آية من الآيات بقوله: ﴿وَوَصَّيۡنَا﴾ وهي بمعنى أمرنا الإنسان وألزمناه ببرهما والإحسان إليهما[(٢)].

ونلاحظ أن الوصية جاءت بعبارات مختلفة إما غير مقيدة كما في الآية الأولى وإما مقيدة بقوله: ﴿حُسۡنٗاۖ﴾ و﴿إِحۡسَٰنًا﴾ كي لا تكون وصية بالوالدين فحسب بل بيَّن سبحانه ما يرتبط بهذه الوصية وما تحمله بين جنباتها من كيفية تحقيقها.

فهذه الوصية موجهه للإنسان «وقائمة على أساس إنسانيته دون النظر إلى أية صفة أخرى وراء كونه إنساناً، وهي وصية بالإحسان مطلقة من

---

(١) تفسير السعدي ص٧٨١.

(٢) انظر: روح المعاني ١١/ ٢٠٥، وتفسير ابن كثير ٣/ ٣٤٧، وتفسير السعدي ص٦٢٧.

كل شرط ومن كل قيد فصفة الوالدية تقتضي هذا الإحسان بذاتها بدون حاجة إلى أية صفة أخرى كذلك وهي وصية صادرة من خالق الإنسان»[(١)]. وإذا كان ﷻ يوصي بالوالدين والإحسان إليهما فما ذلك إلا لعظم حقهما ومكانتهما المستوجب للالتزام ببرهما والإحسان إليهما.

٢ ـ القدوة:

لقد عرض القرآن الكريم نماذج فريدة يقتدى بها ويسير المسلم على هداها، وكانت صوراً رائعة للبر بالوالدين إما بالحكمة وإما بالطاعة وغيرها من الصور المختلفة في البر، فأول هذه النماذج سيدنا إبراهيم عليه السلام عندما خاطب أباه يدعوه إلى الإيمان وكان ذلك بأسلوب الحكمة والأدب العالي قال فيه ﷻ: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾﴾ [مريم]. وقد سبق استخلاص البحث لفحوى البر بالوالدين في هذه الآيات.

وإذا كان سيدنا إبراهيم عليه السلام قدوة في التعامل مع والده بحكمة فإن ولده إسماعيل عليه السلام قدوة لمن جاء بعده في الطاعة لوالده إبراهيم عليه السلام في أمر يصعب على النفس قَبوله والإقدام على تنفيذه؛ فالنفس بطبعها تتشوق للبقاء والاستقرار في الحياة: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ﴾ [الصافات: ١٠٢]، «طلبٌ يدُكُّ الجبال وينزع القلوب من الصدور»[(٢)].

---

(١) في ظلال القرآن ٦/ ٣٢٦١.

(٢) قصص القرآن، محمد جاد المولى ص٦٠.

لم يتلق الابن البار «الأمر في طاعة واستسلام فحسب، ولكن في رضى كذلك وفي يقين ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ وفي مودة وقربى، فشبح الذبح لا يزعجه ولا يفزعه، ولا يفقده رشده بل لا يفقده مودته وأدبه»(١).

﴿ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ﴾: امض في تحقيق ما أمرت به من غير احتجاج ولا مناقشة فيه، وهنا يكمن البر الحقيقي للوالدين ليتمثل فيما لا يوافق رغبة الابن. فالبر له مراتب لكل مرتبة طبيعتها من حيث السهولة والصعوبة، فكلما ازدادت الصعوبة واحتاجت إلى قدر من التحمل تضاعف الأجر من الله تعالى وعلت مكانة البار بوالديه لأن البر بالوالدين يتحقق في أن يؤثر الولد رضا والديه على رضا نفسه وأن يطيعهما في كل ما يأمرانه به وينهيانه عنه سواء وافق رغباته أم لم يوافقها ما لم يأمراه بمعصية الله.

وقد تمثل ذلك في شخص إسماعيل عليه السلام من برّ عظيم وتوفيق من الله وإيمان وثيق ونفس راضية بما أراد الله، وكانت العاقبة له النجاة من هذا الكرب العظيم جزاء على طاعته وامتثالاً له لأمر الله تعالى.

وشتان ما بينه وبين ابن نوح عليه السلام الذي أبى أن يركب السفينة لما دعاه والده فاعتزل أباه ورغب عن دينه فناداه لعل نداءه يصل إلى مكان الإيمان من قلبه فيؤمن نداء الأب الحريص على هداية ابنه ورجوعه إلى طريق الحق والإيمان: ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [هود: ٤٢]، ولكنه رفض هذه الدعوة الحانية وهذه الرغبة الصادقة ظناً منه أنه قادر على أن يحذر المكروه ويفر من قضاء الله وقدره.

وكانت النتيجة الطبيعية لهذا القرار وعدم الاتباع والطاعة لهذا الأب الحاني العطوف الذي بذل جهده لهدايته أن حال بينهما الموج

(١) في ظلال القرآن ٥/ ٢٩٩٥.

وتعالت المياه فكان من المغرقين: ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾ [هود: ٤٣].

ومن النماذج التي عرضها القرآن في برّ الوالدين ما كان من سيدنا يوسف عليه السلام.

«فمن إكرامه وتقديره واحترامه لأبويه أن أجلسهما على سريره المخصص له ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [يوسف: ١٠٠] إذ لا يفوق الأبوين شيء من أمور الدنيا، فهما أغلى ما لدى الإنسان في هذه الحياة، ولا يعلو على حقهما سوى حق الله عز وجل»[(١)].

٣ ـ ضرب الأمثلة:

ساق القرآن الكريم نماذج أيضاً من الأنبياء عليهم السلام امتدحهم ببر والديهم.

ومن الأمثلة على ذلك يحيى عليه السلام، فقد كان باراً «لطيفاً بوالديه محسناً إليهما»[(٢)]، قال عز وجل: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾﴾ [مريم].

فقد كان يسعى دائماً لمرضاتهما ويبذل كل جهده في الإحسان إليهما، ويقوم بكل ما يسعدهما من شؤون الدين وأمور الدنيا[(٣)]، «ولم يكن متكبراً ولا عاصياً لوالديه أو لربه»[(٤)].

وكذلك سيدنا عيسى عليه السلام فمن فضل الله تعالى عليه أن جعله بارّاً

---

(١) القصص القرآني الكريم بين الآباء والأبناء ص٢٤٥.
(٢) فتح القدير ٣/ ٤٠٩.
(٣) انظر: آباء وأبناء ملامح تربوية في القرآن ص١٥٢.
(٤) فتح القدير ٣/ ٤٠٩.

بوالدته، «وقد خصه الله تعالى بذلك بين قومه لأن برّ الوالدين كان ضعيفاً في بني إسرائيل يومئذ، وبخاصة الوالدة، لأنها تُستضعف لأن فرط حنانها ومشقتها قد يجرِّئان الولد على التساهل في البر بها»[(١)]، ولهذا خاطب قومه وهو صبي في المهد بأنه سيكون باراً بوالدته قائماً بحقها عاملاً لرضاها: ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾﴾ [مريم].

وفي السُّنَّة الشريفة أمثلة على بر الوالدين ذكر منها الرسول ﷺ قصة النفر الثلاثة الذين انحدرت عليهم الصخرة من الجبل فسدَّت عليهم الغار فدعوا بصالح أعمالهم فأتاهم الفرج الرباني لقاء تلك الأعمال الصالحة، وكان بداية الفرج وتزحزح الصخرة عن باب الغار أن دعا أحدهم ربه جل وعلا ببره لوالديه وتقديمه حبهما على حب أولاده[(٢)].

وقد كان بر ذلك الرجل عظيماً؛ لأنه كان بدأ بوالديه قبل ولده مع أنه يستطيع أن يعطي كل منهم نصيبه، والثانية أن أولاده كانوا في جوع، ومع هذا لم يقدمهم على والديه ثم إن بكاء أولاده كان مستمراً حتى طلع الفجر، وفوق هذا كله فإن عمله ذلك كان لله خالصاً لوجهه تعالى.

٤ ـ الترغيب والترهيب:

وذلك ببيان جزاء البار بوالديه وعقاب العاق لهما بوالديه، وقد جاء في بعض الآيات والأحاديث منها: الثواب الجزيل الذي يصيبه البار بوالديه، **ومن ذلك:**

١ ـ أن البار بوالديه يقبل عمله ويغفر له ذنبه لقوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا﴾ [الأحقاف: ١٥] إلى أن قال في آخر الآية الثانية:

---

(١) التحرير والتنوير ١٦/ ١٠٠.

(٢) انظر: الحديث مفصلاً بنصه الكامل في مسلم، كتاب التوبة، باب قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال برقم حديث (٢٧٤٣).

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الأحقاف].

٢ ـ البار ينجيه الله من المهالك وتستجاب دعوته، وقد ظهر لنا ذلك من حديث النفر الثلاثة.

٣ ـ خصَّ الله أمر البر بالوالدين بعبارة (وصّى) والتوصية والوصية إنما يكون لمن يلتمس عنده التنفيذ للوصية، ولذلك لم تجر العادة أن يوصى الخائن أو المجرم وإنما يخصّ بها من يتوقع منه الوفاء بالوصية.

وهذه منزلة للموصى أعطاها الله للإنسان مرغباً له في إنفاذها.

أما الترهيب فذلك عن طريق بيان عقوبة العاق لوالديه، والأصل في العقوق الشقّ والقطع، قال ابن منظور[١]: وعقّ والده عقّاً وعقوقاً ومعقة: شقَّ عصا طاعته، وعق والديه قطعهما، ولم يصل رحمه فيهما[٢].

أما العقوبات والمحاذير التي يقع فيها العاق بوالديه **نذكر منها**:

١ ـ العقوق من أكبر الكبائر:

لقول الرسول ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثاً**». قلنا: بلى يا رسول الله. قال: «**الإشراك بالله، وعقوق الوالدين...**»[٣].

٢ ـ العاق ملعون:

لقول الرسول ﷺ: «**لعن الله سبعة من فوق سبع سماوات**»، وردد اللعنة على كل واحد من السبعة ثلاثاً، ولعن كل واحد منهم لعنة

---

(١) سبقت الترجمة له.
(٢) لسان العرب (ع ق ق) ١٠/ ٢٣٠.
(٣) سبق تخريجه

تكفيه... وذكر منهم: «**ملعون من عق والديه**»[(١)]، وغيرها من العقوبات التي وردت في السُّنَّة الشريفة.

❐ ثالثاً: عناصر الآداب القرآنية للناشئة في مجال الأخوَّة:

إن المحبة هي القاعدة المتينة للتعامل بين الإخوة ومن خلالها تقوى روابط الألفة فيما بينهم وتتهذب أخلاقهم وتستمر سعادتهم، وتحقيق المحبة يتم عن طريق عنصريين مهمين هما:

أولاً: برَّ الإخوة بالأقوال في القرآن الكريم:

ويتم بعدة جوانب أهمها:

أ ـ المخاطبة بالقول اللين بين الإخوة:

ويتضح هذا في مخاطبة (هابيل) ابن آدم لأخيه (قابيل) الذي عزم على قتله فهو يدعوه إلى التقوى والخوف من الله من خلال حديثه معه. ﴿... إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [المائدة].

والمتأمل في هذه الإجابات وفي هذه الردود من ذلك الأخ الصالح يجدها ملئت بالسلام والهدوء والاطمئنان. «لقد كان في هذا القول اللين ما يُفثئ الحقد ويهدئ الحسد ويسكن الشر ويمسح على الأعصاب المهتاجة، ويرد صاحبها إلى حنان الأخوة وبشاشة الإيمان وحساسية التقوى»[(٢)]. فهذا الأخ الصالح لم يستثر أخاه بتعديد محاسن عمله وقربانه، حتى لا يزيد من غضبه، ولم يقابل قوله الخاطئ بقول مثله، وإنما بإجابات ملئت حكمة وعقلاً، وهذه طريقة عباد الرحمٰن عندما يخاطبهم الجاهلون: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان].

---

(١) رواه الإمام أحمد ١/ ٢١٧، ٣١٧، والهيثمي في مجمع الزوائد ٦/ ٢٧٢. قال الشيخ الألباني: حسن صحيح.

(٢) في ظلال القرآن ٢/ ٨٧٦.

وقد تمثل القول الحسن بين الإخوة أيضاً في حوار يوسف عليه السلام مع إخوته بعد لقائهم: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [يوسف] حيث حرص يوسف عليه السلام على إلقاء روح الأخوة قائمة بينه وبينهم، فقد أراد باستفهامه هذا التذكير والتوبيخ ولم يستخدم أية ألفاظ نابية جارحة رغم ما فعلوه به، وفي قوله: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ﴾ [يوسف: ٩٠] نجد فناً «من أفانين الخطابة، وهو أن يغتنم الواعظ الفرصة لإلقاء الموعظة وهي فرصة تأثر السامع وانفعاله وظهور شواهد صدق الواعظ في موعظته»[(١)]، ويسمِّي المربون هذا النمط من التربية (التربية بالأحداث) أو (بالحدث).

ب ـ دعاء الأخ لأخيه:

أن الأخ إذا سخر أو اغتاب أخاه فعليه أن يدعو له لعله يكفِّر عن الجرم الذي اقترفه في حقه، وعندما عاتب موسى عليه السلام أخاه هارون على عبادة القوم العجل ندم موسى عليه السلام على ما استعجل من صنعه بأخيه قبل أن يعلم براءته مما ظنه فيه من التقصير، فتوجه إلى الله بالدعاء والابتهال إليه بأن يغفر الله له ما يفعله بأخيه من الغلط في القول والفعل، وكذلك تأدباً مع الله فيما ظهر عليه من الغضب وأن يغفر لأخيه ما عساه قصر فيه، وقد عرض القرآن الكريم هذا الأدب الرفيع من موسى عليه السلام بقوله: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾ [الأعراف].

فقد دعا موسى عليه السلام بالمغفرة، وأن تحيط بهما رحمة الله من كل جانب لأنها الحصن الحصين من جميع الشرور وثمَّ كل خير وسرور.

وكذلك فعل يوسف عليه السلام بإخوته فقد دعا لهم بالمغفرة والرحمة

---

(١) التحرير والتنوير ١٣/ ٤٩.

على ما صدر منهم من إيذاء كما جاء على لسان يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [يوسف].

فالدعاء بالرحمة والمغفرة بين الإخوة موجب للمحبة وعلاج مفيد لما قد يقع بين الإخوة من نزاع وخلافات، وسلاح قوي في دفع الشرور، والعيش في أمن وسرور.

ج ـ التذكير بالخشية من الله والتخويف من عقابه:

أن الخوف من الله يمثل أعظم رادع عن الإجرام على هذه الأرض، فمن يخاف الله لا يعتدي[١]، وقد تمثل الخوف من الله في جواب هابيل لأخيه قابيل الذي يريد قتله: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾﴾ [المائدة]، «فأن يراني باسطاً يدي إلى الإجرام وسفك الدم بغير حق فإن ذلك يسخطه ويكون سبب عقابه»[٢].

ولا يزال الأخ الصالح يضيف إليه النذير والتحذير: ﴿إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [المائدة].

«إذ أنت مددت يدك إليَّ لتقتلني فليس من شأني ولا من طبعي أن أفعل هذه الفعلة ـ بالنسبة له ـ فهذا الخاطر خاطر القتل لا يدور بنفسي أصلاً ولا يتجه إليه فكري إطلاقاً خوفاً من الله رب العالمين لا عجزاً عن إتيانه، وأنا تاركك تحمل إثم قتلي وتضيفه إلى إثمك فيكون إثمك مضاعفاً وعذابك مضاعفاً»[٣].

وقد عرض القرآن الكريم قصة أصحاب الجنة وكانوا إخوة وما كان

---

(١) انظر: مع الأنبياء في القرآن الكريم ص٥٤.
(٢) تفسير المنار ٦/ ٢٨٤. (٣) في ظلال القرآن ٢/ ٨٧٦.

من فعلهم، بأن بخلوا أن يعطوا الفقراء نصيبهم واتفقوا على قطف ثمارها وبيعها قبل مجيئهم، فأحرق الله زرعها نكاية بهم وجزاء لهم على شُحِّهم وبخلهم، وفي هذه الأثناء برز الأخ الأعدل والأحسن طريقة يذكرهم: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [القلم].

وتشتمل هذه الآيات على التذكير بضرورة تسبيح الله، وقد نجح التذكير هنا فكان الاعتراف بالتقصير والندم والذنب ثم الأمل بعطاء مبارك من ربهم يعوِّض لهم خسارتهم[1].

ومن هنا على الإخوة أن يتخوَّلوا بعضهم بالتذكير وبالموعظة إذا رؤي من أحدهم تقصير أو انحراف عن جادة الحق، فالتذكير ينفع المؤمنين: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الذاريات]، فهو سمة المؤمنين: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١].

وقد تحدثنا عن هذه الفضيلة وشروطها وضوابطها في المبحث الأول من هذا الفصل بما يحقق الفائدة بإذن الله.

د ـ تقديم العذر عند الاتهام:

قد يؤنب الأخ على سلوك أو تصرف معين صدر عنه، ولكي يصبح موقفه واضحاً أمام أخيه أو إخوته ينبغي أن يقدم لهم ما يرفع اللوم والعتاب عنه، ويرجع الود والوئام، فهو يقدم العذر ليرفع عنه الاتهام كما حدث مع هارون عليه السلام عندما أخذ موسى عليه السلام «يؤنبه على ترك القوم يعبدون العجل دون أن يبطل عبادته، اتباعاً لأمر موسى عليه السلام بألا يحدث

(١) انظر: تفسير السعدي ص٨٨٠.

أمراً بعده. ولكن هارون عليه السلام كان له موقف تجاه هذا اللوم وهذا العتاب، فهو يُطلع أخاه عليه محاولاً أن يهدئ من غضبه، ويعرض له وجهة نظره في صورة الطاعة لأمره حسب تقديره»[(١)].

فاعتذر هارون عليه السلام عن بقائه بين القوم بقوله: ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾﴾ [طه].

فقد كان توقع هارون إن منع الناس عن فعل فعلوه أن تتبعه «طائفة من الثابتين على الإيمان ويخالفهم الجمهور فيقع انشقاق بين القوم، وربما اقتتلوا فرأى من المصلحة أن يظهر الرضا عن فعلهم ليهدأ الجمهور»[(٢)]، وما كان هذا في ظنه إلا اتباعاً لقول موسى: ﴿وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٢]، وقد اعتذر هارون عن موقفه بقوله: ﴿إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي﴾ [الأعراف: ١٥٠].

أما نتيجة الاعتذار فقد كانت تقديم موسى للمعذرة للملوم والدعاء له بالمغفرة والرحمة: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾ [الأعراف].

ومما سبق رأينا أن الاعتذار لا يأتي إلا بخير، فإما أن يوضح موقفاً كان ملتبساً أو يقنع الآخرين بصحة سلوك معين.

و ـ الاعتراف بالخطأ بين الإخوة:

قال عز وجل: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾﴾ [يوسف].

هؤلاء هم إخوة يوسف الذين خططوا ودبَّروا للتخلص من يوسف

(١) في ظلال القرآن ٢٣٤٨/٤ بتصرف. (٢) التحرير والتنوير ٢٩٣/١٦.

وأخيه، ها هم يقفون أمام يوسف عليه السلام الذي قد مَنَّ الله عليه بهذه النعم وقد وصل إليها بصبره وتقوى الله تعالى، يقفون أمامه وقد تمثل لعيونهم وقلوبهم صورة ما فعلوا بيوسف يجللهم الخزي والخجل، فما كان منهم إلا الاعتراف بالخطأ والإقرار بالذنب وتقرير ما يرونه من إيثار الله له عليهم بالمكانة والعلم والحلم والتقوى والحكم والعمل والملك، ولكنهم أساؤوا إليه غاية الإساءة في التفريق بينه وبين أخيه فقولهم: ﴿وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ﴾ هذا غاية الاعتراف منهم بالجرم الحاصل منهم على يوسف وفي قولهم هذا من الاستنزال لإحسانه عليه السلام والاعتراف بما صدر منهم في حقه مع الإشعار بالتوبة ما لا يخفى[(١)].

فالاعتراف بالخطأ فضيلة لا يرتقي إليها إلا من تسلح بالشجاعة وبالتالي يصبح جديراً بالاحترام قادراً على إصلاح ما يفسده، أما الذي يخطئ ولا يُقِر بما اقترف فهو سيئ الطبع ينفر منه الآخرون.

ثانياً: بر الإخوة بالأفعال في القرآن الكريم:

ومن أهم جوانب تطبيقه ما يلي:

أ ـ عدم الشماتة بين الإخوة:

والشماتة: هي السرور بما يصيب الآخر من المصائب في الدين والدنيا، وقيل: هي الفرح ببلية من تعاديه ويعاديك، يقال: شمت به فهو شامت، وأشمت الله به العدو، وقيل: الشماتة: سرور العدو بما يصيب المرء من مكروه، وقيل: أشمت فلان فلاناً بفلان إذا أسرَّ فيه بما يكرهه المشمت به[(٢)]، فمن الآداب القرآنية مع الإخوة عدم الشماتة، فهذا

---

(١) انظر: روح المعاني ١٣/ ٧٢، والجامع لأحكام القرآن ٩/ ٢١٨، وتفسير السعدي ص٤٠٤، وفي ظلال القرآن ٤/ ٢٠٢٧.

(٢) انظر: روح المعاني ٩/ ١٠١، وجامع البيان ١٠/ ٤٦٠، والمفردات في غريب القرآن ص٢٧٠، والجامع لأحكام القرآن ٧/ ٢٥٧.

«هارون عليه السلام يستجيش وجدان الأخوّة الناصرة المعينة حين يكون هناك الأعداء الذين يشمتون»[١]: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾﴾ [الأعراف].

أي: فلا تفعل ما يشمتون بي لأجله فإنهم لا يعلمون سر فعلك[٢]، فموسى عليه السلام أخذ برأس أخيه يجره إليه معاتباً له، إن المعاتبة بين الإخوة أمر قد يقع ولكن لا يكون ذلك على مرأى من الآخرين، وهذا ما أشار إليه هارون عليه السلام: ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ﴾، وذلك لأن الأعداء حريصون على أن يجدوا عثرة أو يطلعوا لي على ذلّة.

فالأدب المختار في هذا الموقف الابتعاد عن الشماتة وخاصة أنها منهي عنها، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يتعوذ ويقول: «**اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من سوء القضاء ودرك الشقاء وشماتة الأعداء**»[٣]، ولا شك في أن الشماتة بالآخرين تؤدي إلى الكراهية وانتفاء المحبة؛ لأن الشماتة تحقير والتحقير لا يرضى به أحد.

ب ـ أن يكون الأخ عوناً لأخيه:

ومن صور ذلك:

١ ـ **المعاونة على الحق** والخير كما طلب موسى عليه السلام من ربه بأن يجعل من أهله «معيناً يعاونه ويؤازره ويساعده: ﴿وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾﴾ [طه]، فسأل الله تعالى أن يساعده أخيه هارون لأنه من باب البر،

---

(١) في ظلال القرآن ٩/ ١٣٧٥.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٧/ ٢٥٧.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره (٢٧٠٧).

وأحق ببر الإنسان قرابته، وقد خصه لفرط ثقته به وكونه من أهله مظنة النصح وكونه أخاه أقوى في المناصحة»[١].

والوزير: مشتق من الأزر وهو المعونة والمؤازرة، يقال: وازرت فلاناً موازرة أعنته على أمره[٢].

وقد تقدم في هذا البحث الحديث عن معاونة إسماعيل لأبيه إبراهيم عليه السلام في رفع قواعد البيت الحرام[٣].

٢ ـ **المشاركة في الأمور**: كما قال الله تعالى على لسان موسى: ﴿وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾﴾ [طه].

«أي: واجعله شريكي في أمر الرسالة حتى نتعاون على أدائها كما ينبغي»[٤]، فهذا أمر ضروري لمن كلف بهذه المسؤولية فهو يحتاج لمن يشركه في أمره ويتشاور معه في اتخاذ قراراته وتوجيه آرائه، ولهذ طلب موسى عليه السلام من ربه أن يكون هذا الأخ شريكاً له في مشاورته[٥].

وللمشورة فوائد عظيمة وأهمية كبيرة، فقد جاء عن الماوردي[٦] في فضل المشورة «اعلم أن من الحزم لكل ذي لب ألا يبرم أمراً ولا يمضي عزماً إلا بمشورة ذي الرأي الناصح، ومطالعة ذي العقل الراجح، فإن الله

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ١٢٨، وتفسير السعدي ص٥٠٤، ٥٠٥، والتحرير والتنوير ١٦/ ٢١٢، ٢١٣.

(٢) انظر: المفردات في غريب القرآن ص٥٣٦، والتحرير والتنوير ١٦/ ٢١٢.

(٣) انظر: ص٢٣١ هذا البحث.

(٤) روح المعاني ١٦/ ٢٧١.

(٥) فقد جاء معنى أشركه في أمري؛ أي: في مشاورتي، تفسير ابن كثير ٣/ ١٢٩.

(٦) هو: علي بن محمد بن حبيب القاضي أبو الحسن الماوردي البصري، كان ثقة، من وجوه الفقهاء الشافعيين، ولي القضاء ببلدان شتى، ثم سكن بغداد، له مصنفات كثيرة في الفقه وأصوله، والتفسير والأدب، من تصانيفه الحاوي وتفسير القرآن سمَّاه: «النكت». و«أدب الدنيا والدين»، مات سنة خمسين وأربعمائة، وعمره ست وثمانين سنة. انظر: طبقات المفسرين الداوودي ص٢٩٣.

تعالى أمر بالمشورة نبيه ﷺ مع تكفل به من إرشاده ووعد به من تأييده فقال الله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقد قال بعض الحكماء: نصف رأيك مع أخيك فشاوره ليكمل لك الرأي»[(١)]، فلا يتردد الأخ باستشارة أخيه وخاصة إذا كان عاقلاً ذا دين وتقياً ناصحاً وداوداً، ليتحقق له السلامة في أمره ويتجنب الندامة في الاختيار والإقدام.

ج ـ العفو والتسامح عند الإساءة:

إن المتأمل في قصة يوسف عليه السلام مع إخوته «يجد الدرس البليغ في التسامح والعفو عن المسيء ومقابلته بالإحسان، فيوسف عليه السلام كان باستطاعته عندما تعرف على إخوته أن ينتحل أي تهمة ضدهم ليزج بهم في السجن ويذيقهم ألواناً من العذاب جزاء كيدهم له، ولكن سمو عنصره وترفعه عن الانتقام جعله يأبى أن ينزلق إلى هذا المنزلق الذي ينغمس فيه الأشخاص العاديون. لقد كانت السلطة والحكم بيد يوسف وكانت حياة الذين أساؤوا إليه رهن كلمة منه، ولكنه قابل الإساءة بالإحسان فأجاب عليهم بعد اعترافهم بخطئهم جواباً مفعماً بالعطف الأخوي والمسامحة عما أجرموا»[(٢)] قائلاً: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [يوسف: ٩٢][(٣)].

أي: لا لوم عليكم ولا توبيخ ولا تأنيب ولا إفساد لما بيني وبينكم

---

(١) أدب الدنيا والدين ص٣٦٩.

(٢) انظر: مع الأنبياء في القرآن الكريم ص١٩٤، ١٩٥ بتصرف يسير.

(٣) وفي قوله: ﴿لَا تَثْرِيبَ﴾ أصله من الثرب وهو الشحم الرقيق في الوجه وعلى الكرش، وصيغة التفعيل للسلب؛ أي: إزالة الثرب، كالتجليد والتقريع بمعنى إزالة الجلد والقرع، واستعيد للوم الذي يمزق الأعراض ويذهب بهاء الوجه؛ لأنه بإزالة الشحم يبدو الهزال وما لا يرضى، كما أنه باللوم تظهر العيوب، فالجامع بينهما طَرَيان النقص بعد الكمال، روح المعاني ١٣/ ٧٢، وانظر: جامع البيان ١٣/ ٣٣٠، ٣٣١، وانظر: المحرر الوجيز ٣/ ٢٧٨.

من الحرمة وحق الأخوة، ولا أذكر لكم ذنبكم ولكم عندي الصفح والعفو[١].

ومن عفوه عليه السلام عدم لوم إخوته على ما مضى والتذكير به بقوله: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾؛ أي: أن الأمر انتهى من نفسي ولم تعد له جذور وعند قوله: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓ﴾ [يوسف: ١٠٠].

إن المتأمل في هذه الآية الكريمة يجد أن يوسف عليه السلام ذكر إخراجه من السجن وترك إخراجه من الجب حكمة لطيفة وهي:

«أن في ذكر إخراجه من الجب تجديد فعل إخوته وخزيهم بذلك وتقليع نفوسهم وتحريك الغوائل وتخبيت النفوس»[٢].

إذن عدم اللوم على ما مضى أمر ضروري لبداية علاقة أخوية نقية تتطلبه المصلحة والقضاء على شوائب الخلافات والنزاعات التي قد تحدث بين الإخوة.

وتتركز أهمية العفو والتسامح والعمل به كونه سبحانه وتعالى امتدح العافين عن الناس كما قال سبحانه: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، وقد أمر الله بالعفو والصفح: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢].

فعفو يوسف عليه السلام دل على أن قلبه لم يتغير تجاههم بل هم في قلبه إخوة وأحباب. «وإن هذا لخُلق عظيم تحلى به يوسف عليه السلام، خُلق العفو والتسامح، الخُلق الذي جعل إخوته يحبونه ويجلُّونه ويحترمونه. وما

(١) انظر: روح المعاني ١٣/ ٧٢، والطبري ١٣/ ٣٣٠، وزاد المسير ٤/ ٢٨٢، والجامع لأحكام القرآن ٩/ ٢١٩، وابن كثير ٢/ ٤٢٣.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٢٨٢.

أجمل أن يقتدي الإخوة في كل آن بيوسف عليه السلام في تسامحهم وعفوهم عن إخوانهم إن أساءوا إليهم، حتى تتآلف القلوب وتخيم السعادة على الجميع، وبذلك تحفظ القرابات وتبقى الوشائج الأخوية كما أرادها الإسلام قوية متينة»[١].

❐ رابعاً: الأساليب القرآنية في مجال آداب معاملة الأخوة:

١ ـ أسلوب القصة:

عرض القرآن الكريم في قصة قابيل وهابيل «نموذجاً لطبيعة البشر والعدوان، ونموذجاً كذلك من العدوان الصارخ الذي لا مبرر له، ونموذجاً لطبيعة الخير والسماحة، ونموذجاً كذلك من الطبيعة والوداعة وتقفهما وجهاً لوجه كل يتصرف وفق طبيعته»[٢]، كان لكل نموذج صفاته الخيرة أو الشريرة. وسوف نتعرف من خلال الحوار الذي دار بينهما على الآداب الطيبة التي ينبغي على الإخوة الالتزام بها وتطبيقها عملياً، وفي المقابل بعض الأخلاق السيئة التي صدرت من ذلك النموذج الذي امتلأ قلبه ظلماً وعدواناً، والتحذير من التخلق بها والعمل بها. كانت قصة فيها العبرة والعظة تؤكد على تجنب العداوة بين الإخوة معنوياً أو جسدياً.

قال ﷻ: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِۖ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٧ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٨ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٣٠ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ

(١) القصص القرآني الكريم بين الآباء والأبناء، عماد زهير حافظ ص٢٤٢.
(٢) في ظلال القرآن ٢/ ٨٧٤.

أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِي ۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [المائدة].

وكما عرض القرآن قصة قابيل وهابيل أيضاً بيَّن القرآن الكريم نموذجاً آخر لإخوة لم يوفقوا إلى حسن التعامل مع أخيهم فكانت لقصة يوسف عليه السلام فيها العبر والحكم وهي من أحسن القصص.

٢ ـ أسلوب الحوار:

والحوار من الأساليب الحية النابضة التي تجعل من يقرأ آيات الكتاب العزيز يدخل وكأنه واحد من المتحاورين، وهو بصفة عامة وسيلة تخدم الفن القصصي القرآني الذي قدمنا له من قريب هذا فضلاً عن أن الحوار من الأساليب التي تشد القارئ وتعطي الحيوية والحرارة المطلوبة لتصوير الأحداث بدقة وأمانة وصدق.

فالحوار الذي كان بين موسى عليه السلام وهارون عليه السلام قد بدأ بانفعال موسى عليه السلام عندما وجد قومه عاكفين على عبادة العجل فما كان منه إلا أن غضب عليهم وعلى أخيه هارون عليه السلام.

ويستمر الحوار ويتحول من غضب إلى هدوء أمام هذا البيان والتوضيح من هارون عليه السلام، فتهدأ ثائرة موسى عليه السلام ليختتم هذا الحوار بدعاء يتوجه به موسى عليه السلام يطلب المغفرة له ولأخيه: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓ ۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡ ۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِ ۚ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾ [الأعراف].

وقال في سورة طه: ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا

تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾ [طه].

فهذا الحوار مليء بالآداب الحميدة التي يجدر بالإخوة تطبيقها وممارستها بما يحقق علاقة أخوية قائمة على الرحمة والوضوح والبيان في معاملة بعضهم بعضاً.

المبحث السادس
عناصر وأساليب الآداب القرآنية للناشئة في مجال التعليم واختيار القرناء

❐ أولاً: عناصر الآداب القرآنية للناشئة في مجال التعليم:

تمهيد:

ـ أهمية العلم ومكانة العلماء في القرآن الكريم:

اهتم القرآن الكريم بالتعليم اهتماماً كبيراً، وقد أمر الله تعالى رسوله الكريم ﷺ منذ بدء الوحي بالقراءة وطلب العلم، قال سبحانه: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾ [العلق].

ويبرز في قوله تعالى: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١﴾ [القلم] حقيقة التعليم، تعليم الرب للإنسان بالقلم، «لأن القلم كان وما زال أوسع وأعمق أدوات التعليم أثراً في حياة الإنسان، ولم تكن هذه الحقيقة إذ ذاك بهذا الوضوح الذي نلمسه الآن ونعرفه في حياة البشرية، ولكن الله سبحانه كان يعلم قيمة القلم، فيشير إليه هذه الإشارة في أول لحظة من لحظات الرسالة الأخيرة للبشرية، وفي أول سورة من سور القرآن الكريم.

إذن هي دعوة للتعليم بالقراءة والكتابة، وما هذا إلا حلقة من المنهج الإلٰهي لتربية هذه الأمة وإعدادها للقيام بالدور الكوني الضخم الذي قدره لها في علمه المكنون»[1].

(١) في ظلال القرآن ٦/ ٣٦٥٥ ـ ٣٩٣٩.

بالعلم يستطيع الإنسان الوصول إلى طريق الحق والهداية فيعبد الله حق عبادته، يخرج من ظلم الجهل إلى نور الهدى باتباع معلم الأمة وقائدها إلى الصراط المستقيم الرسول ﷺ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة].

وتعْظُم أهمية العلم بعلو شأن أهله ومكانتهم الرفيعة عند الله ﷻ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]. وقوله: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١]. ولا يأتي علم الإنسان إلا عن طريق التعليم.

والقرآن الكريم مصدر التعليم، فهو دستور واضح للجوانب الدينية والأخلاقية وغيرها من الجوانب التي تساعد الإنسان على العيش عالماً بأمور دينه ومعاشه وسائر أحواله كما يأتي مفصلاً إن شاء الله في هذا المبحث.

أبرز الجوانب التعليمية للناشئة في القرآن الكريم:

أ- تعليم الناشئة الأدب مع المعلم:

للتعامل مع المعلم آداباً ينبغي للناشئة تعلُّمها، ولقد وردت هذه الآداب في موقف تعليمي حدث بين موسى عليه السلام والعبد الصالح الخضر، موقفٍ تجلت فيه آداب متنوعة أجدر بالمتعلم التحلي بها وتطبيقها، فلنقف مع هذه الآداب بين ثنايا هذه الآيات الكريمة.

١ ـ التلطف في سؤال المعلم:

قال تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾ [الكهف].

إن المتأمل في سؤال موسى عليه السلام لهذا الرجل الصالح وطلبه في تعليمه يلاحظ أنه سؤال في غاية التلطف، ولم يكن على وجه الإلزام والإجبار، فأخرج الكلام بصورة الملاطفة والمشاورة، والاستئذان، ثم إقراره بأنه يتعلم منه، بخلاف ما عليه أهل الجفاء أو الكبر الذين لا يظهر للمعلم افتقادهم إلى عمله، بل يدعون أنهم يتعاونون وإياه، فالتواضع للمعلم، وإظهار الحاجة إلى تعليمه يترك أثراً عظيماً لدى المعلم، وهكذا ينبغي أن يكون سؤال المتعلمين من العالم(١).

والمقصود بالاتباع هنا في هذه الآية «الطواعية والاستعداد لتقديم الخدمات والائتمار بأوامر المعلم»(٢).

٢ ـ طلب العلم النافع:

«والعلم النافع هو العلم المرشد إلى الخير، فكل علم يكون فيه رشد وهداية لطرق الخير وتحذير من طريق الشر أو وسيلة لذلك فإنه من العلم النافع، وما سوى ذلك فإما أن يكون ضاراً وليس منه فائدة»(٣).

ولهذا حرص موسى عليه السلام على «أن يتعلم شيئاً من العلم الذي خصَّ الله به الخضر لأن الاستزادة من العلوم النافعة هو من الخير كما قال تعالى تعليماً لنبيه»(٤): ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

٣ ـ العبرة في الخواتيم:

فمن خطأ الطالب أن يستعجل في نسبة الخطأ إلى المعلم، ونلاحظ في إجابة الخضر لموسى عليه السلام ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٦٧] أن الخضر علم مسبقاً أنه لن يستطيع معه صبراً على ما سيراه من «أفعال تصدر

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/ ٨٥، وتفسير السعدي ص٤٨٢ ـ ٤٨٤.
(٢) التعليم والتعلم في القرآن، حامد عبده ص٦٢.
(٣) تفسير السعدي ص٤٨٤.
(٤) تفسير السعدي ص٤٨٤؛ التحرير والتنوير ١٥/ ٣٧١.

منه ظاهرها المنكر وباطنها المعروف»[١]، «فكأن المعلم قد أحس بصعوبة الطلب على المتعلم وصعوبة الأمر على الطالب لما فيها من أحداث يصعب على العاقل قبولها قبل معرفة وجه الحكمة منها، وفي هذه الإجابة بيان «لأصل من أصول التعليم أن ينبه المعلم المتعلم بعوارض موضوعات العلوم الملقنة لا سيما إذا كانت في معالجتها مشقة»[٢].

وقد بيّن الخضر السبب في عدم الاستطاعة وهو عدم الصبر حتى لا يُرجع ذلك إلى عجز في نفسه[٣] فقال له: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الكهف]، «فكيف يصبر على ما يراه خطأ ولم يخبر بوجه الحكمة فيه ولا طريق الصواب»[٤].

٤ ـ الصبر والطاعة والثقة بالمعلم:

فالصبر والطاعة ظاهران من قول موسى عليه السلام: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا﴾ [الكهف: ٦٩]، وهو تصميم صادر عن أدب رفيع، وحين تبدَّت أشياء لموسى عليه السلام خرج عن صبره فأفادنا درساً آخر وهو عدم الاستعجال على المعلم حتى تظهر الحقيقة كاملة، وهذا ما لم يستطع موسى عليه السلام فعله، ولكنه علَّمنا درساً في التربية على كل حال.

٥ ـ الاعتذار عند الخطأ والنسيان:

قال تعالى: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾﴾ [الكهف].

وهنا يظهر اعتذار موسى بنسيانه ويطلب إلى الرجل أن يقبل عذره

---

(١) التحرير والتنوير ١٥/ ٣٧١ بتصرف يسير.
(٢) التحرير والتنوير ١٥/ ٣٧٢.
(٣) انظر: التعليم والتعلم في القرآن ص٦٢.
(٤) الجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٨ بتصرف يسير.

ولا يرهقه بالمراجعة والتذكير، فالناسي غير مؤاخذ بنسيانه لا في حق الله ولا في حق العباد[١].

ب ـ تعليم الناشئة آداب تلاوة القرآن الكريم وحفظه:

إن القرآن الكريم نفسه يعدّ من أقوى الأسباب التي ترسخ العقيدة في نفس الناشئة، وتعليمه لهم حقٌّ ضروري من حقوقهم؛ فهو يساعد على انشراح الصدر وتنوير القلب وعلى النمو العقلي والفكري بما يحويه من عظات وعبر وأحكام وقصص، وغير ذلك مما يفجّر طاقات التأمل والاستنتاج لدى الناشئة.

لذا يتوجب على الوالدين تعليم أولادهم قراءة القرآن وحفظه إن أمكن ذلك، وقد جاء في فضل قراءة القرآن وتعلمه أحاديث كثيرة منها قوله ﷺ: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**»[٢].

ولحفظ القرآن طرق عديدة منها:

١ ـ «قراءة القرآن على طهارة وبنية خالصة لوجه الله تعالى سواء كانت نية عبادة أو تعلم.

٢ ـ معرفة أسباب النزول للآيات الكريمة وفهم معاني كلماته وموضوعاته.

٣ ـ التكرار الدائم والمراجعة المستمدة لما حفظ وتعهده على الدوام.

٤ ـ قيام الليل به والإكثار من تلاوته في الصلوات وسماعه من الآخرين»[٣].

---

(١) انظر: في ظلال القرآن ١٤/ ٢٢٨٠، وتفسير السعدي ص٤٨٤.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، رقم الحديث (٥٠٢٧).

(٣) تربية الطفل في الإسلام أطوارها وآثارها ص١٠٩.

وحتى تتم عملية الحفظ للناشئة بطريقة سليمة وصحيحة فالأفضل أن يلتحق الناشئ بحلقة تحفيظ القرآن بإشراف شيخ قارئ ماهر يتابعه ويصوبه ويشرف على حفظه باستمرار.

وقد كان من الصحابة رضوان الله عليهم من حفظ القرآن الكريم وهو ابن عشر سنين، فعن ابن عباس[١] ﷺ أنه قال: «توفي رسول الله ﷺ وأنا ابن عشر سنين، وقد قرأت المحكم»[٢]؛ أي: القرآن العظيم وليس هذا فحسب بل تفقه به وتعلم أحكامه وكان مرجعاً للصحابة والتابعين في تفسير آياته. وقد تقدم الحديث عن هذا الجانب التعليمي فليرجع إليه في موضعه[٣].

والقرآن الكريم له آداب يتوجب على الناشئة معرفتها عند تلاوة القرآن الكريم **وهي**:

١ ـ الاستماع والإنصات عندما يتلى كتاب الله:

لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ [الأعراف].

«والفرق بين الاستماع والإنصات أن الإنصات في الظاهر ترك التحدث عند تلاوة القرآن مع آخرين والاشتغال عن ذلك، وأما الاستماع فهو السماع الواعي للذكر الحكيم.

وأن يلقي سمعه، ويحضر القلب ويتدبر ما يستمع فإن من لازم على هذين الأمرين حين يتلى كتاب الله نيل خيراً كثيراً وعلماً غزيراً وإيماناً مستمراً متجدداً وهدى متزايداً وبصيرة في دينه ونزول الرحمة

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن باب تعليم الصبيان القرآن، حديث رقم (٥٠٣٥).

(٣) انظر: الفصل الأول ص٣٣.

عليه، ومن لم يفعل ذلك فإنه حرم الرحمة وفاته خير كثير»[(١)].

٢ ـ الاستعاذة من الشيطان الرجيم عند قراءته:

لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾ [النحل].

٣ ـ الترتيل عند قراءته:

قال تعالى: ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾﴾ [المزمل]؛ «أي: اقرأه على تمهل فإنه يكون عوناً على فهم القرآن وتدبره»[(٢)].

٤ ـ التدبر عند قراءته:

لقوله ﷻ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد].

٥ ـ الخشوع عند قراءته:

لقوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١].

ج ـ تعليم الناشئة آداب الاستعاذة والذكر:

ـ آداب الاستعاذة:

ذكر الله ﷻ ما يدفع به العدو من الشياطين وهو الاستعاذة بالله والاحتماء من شره فقال: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾ [فصلت]. «فإذا أحس الإنسان في أي وقت من الأوقات بشيء من نزغات الشيطان؛ أي: من وساوسه وتزيينه للشر، وتكسيله عن الخير وإصابته ببعض الذنوب، وإطاعة له ببعض ما يأمر به، أن يسأل الله مفتقراً إليه أن يعيذه ويعصمه من الشيطان»[(٣)]. فهو القادر سبحانه على العصمة والحماية.

---

(١) تفسير السعدي ص٣١٤ بتصرف يسير.
(٢) تفسير ابن كثير ٤/ ٣٧٩.
(٣) تفسير السعدي ص٧٥٠.

وقد كان الرسول ﷺ يستعيذ بالله «من همزات الشياطين ودفعاتهم، وهو معصوم منها، زيادة في التوقي وزيادة في الالتجاء إلى الله وتعليماً لأمته وهو قدوتها وأسوتها، أن يتحصنوا بالله من همزات الشياطين في كل حين، بل إن الرسول موجَّهٌ إلى الاستعاذة بالله من مجرد قرب الشياطين»[(١)]، ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ [المؤمنون].

ـ آداب الذكر:

«الذكر لله تعالى يكون بالقلب ويكون باللسان ويكون بهما، وهو أكمل أنواع الذكر وأحواله، وقد أمر الله عبده ورسوله محمداً أصلاً وغيره تبعاً بذكر ربه في نفسه»[(٢)]، فقال تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [الأعراف].

ففي هذه الآية الكريمة بيَّن ﷻ صفة الذكر وكيفيته بأن يكون باللسان وأن يكون ضراعة وخيفة، والضراعة هي الذلة والضعف والخضوع، والخيفة حالة الخوف والخشية؛ أي: واذكر ربك الذي خلقك وربَّاك بنعمه في نفسك بأن تستحضر معنى أسمائه وصفاته وآياته وآلائه، وفضله عليك وحاجتك إليه متضرعاً له خائفاً منه، راجياً نعمه، واذكره بلسانك مع ذكره في نفسك ذكراً دون الجهر برفع الصوت من القول، وفوق التخافت والسرّ كما قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾ [الإسراء].

ومن افتتح نهاره بذكر الله واختتمه به كان جديراً بأن يراقبه تعالى

---

(١) في ظلال القرآن ٤/ ٢٤٧٩.

(٢) تفسير السعدي ص٣١٤.

ولا ينساه فيما بينهما، وكان منفذاً قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ۝٤٢﴾ [الأحزاب]، فلا يغفل عن ذكر الله في سائر الأوقات... لأن من غفل عن ذكره مرض قلبه وضعف إيمانه واستحوذ عليه الشيطان فأنساه نفسه»[(١)].

ومما سبق يتبين ضرورة تعليم الناشئة ذكر الله بالأذكار المخصوصة في أوقات الصباح والمساء؛ فإنها فضلاً عن أنها ذكر لله تعالى فهي كذلك تدريب للناشئة على مراقبة الله تعالى وذكره، فيجتمع بهذا العنصر مع ما سبق (الصلاة، والوضوء) ولا يخفى ما لذلك من أثر على الناشئة ليس في مراحلهم المبكرة فحسب بل إلى نهاية أعمارهم كما ذهب إليه الثقات من علماء التربية.

د ـ تعليم الناشئة القراءة والكتابة:

إن تعليم الناشئة القراءة والكتابة حق ضروري حتى يستطيعوا الاطلاع على كل ما هو نافع في الدين والدنيا، ومعلوم أن القراءة أعظم وسائل المعرفة، وبها جاء الوحي أول ما جاء بعد انقطاع طويل، قال تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤﴾ [العلق]. ففي هذه الآيات الكريمة إشارة إلى فضل العلم والتعلم «وفيها دعوة إلى التعلم».

وفيها بيان لأساسيات التعلم أولها: «القراءة بوصفها وسيلة أساسية للتعلم، والقلم ويعني الكتابة وهي الأساس الثاني»[(٢)].

والأب مسؤول عن تعليم طفله القراءة والكتابة، فلقد كان النبي ﷺ حريصاً على أن تكون براعم الإسلام الصغيرة متعلمة ومثقفة وواعية،

---

(١) تفسير المنار ٩/ ٤٦١.

(٢) التعليم والتعلم في القرآن الكريم، حامد عبده الهوال ص٥٠، ٥١ بتصرف يسير.

فأقدم بعد غزوة بدر على مبادلة الأسير من المشركين إذا قام بتعليم عشرة صبيان من المسلمين القراءة والكتابة. والمدرسة تؤثر على الطفل وتنعكس على سلوكياته وتصرفاته، وقد حرص أهل العلم قديماً وحديثاً على اختيار المدرس الصالح والمدرسة الصالحة لأولادهم لتنطبع في شخصية كل منهم الفضائل المحمودة والأخلاق الحميدة التي يقتبسوها من المعلم أو المربي ذي الخلق الكريم والصفات الفاضلة»[١].

ـ ويتبع هذه المسؤولية مسؤولية أخرى للوالدين:

تتمثل في توفير مكتبة منزلية للناشئة، وهذا الأمر من الوسائل الثقافية النافعة المتنوعة التي تساعد بشكل كبير في نضوج الولد عقلياً وتكوينه في الحياة فكرياً وعلمياً.

وقد اهتم السلف الصالح والمربون الأوائل باقتناء الكتب الدينية والمراجع النفيسة في بيوتهم لينهل منها أبناؤهم ويشبوا على حبها وما جاء فيها من قيم وفوائد وعلوم شرعية وعلمية وثقافية واسعة، كما نبه العلماء في العصر الحديث إلى ضرورة المكتبة المنزلية وتوفر الكتب الدينية والأدبية والتاريخية، وكتب السيرة والمغازي والقصص، فالمكتبة ضرورة لإصلاح العقول[٢].

ولا بأس أن يجعل الأب في حاسوب ولده برنامجاً للقرآن الكريم وآخر للحديث الشريف، وبرامج أخرى فيها ثقافة إسلامية، وأن يسأله أن يستخرج له آية أو حديثاً، فهذا الاهتمام يجعل عند الولد اهتماماً مماثلاً بحافز القدوة.

ومن ذلك الاهتمام بتوفير «المجلات الأسبوعية والشهرية ذات

---

(١) تربية الطفل في الإسلام، أطوارها وآثارها ص١٦١.

(٢) انظر: منهج التربية النبوية للطفل ص٢٣٣، ٢٣٤، تربية الطفل في الإسلام لأحمد عطا عمر ص١١٨.

الطابع الديني والموضوعات التي تثري الفكر الإسلامي وتعمل على تحليل الكثير من أحداث الواقع، وربما تقدم العلاج المناسب لمشكلات المجتمع وأحوال الناس وأخطاءهم الشائعة في مسائل متعددة»[(١)]، كلٌّ في إطار القيم والمفاهيم الإسلامية.

وهكذا فالواجب على الوالدين أن ينشِّئوا أولادهم على حب القراءة والمطالعة، فينبت الناشئ وما يتولد عن ذلك من حب العلم والتعلق في طلب المزيد منه مما له أكبر الأثر في نموه الفكري والخلقي وغير ذلك من الجوانب الأخرى.

هـ ـ تعليم الناشئة أحكام الدين:

١ ـ تعليم الناشئة أحكام الطهارة:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٦﴾ [المائدة].

اشتملت هذه الآية الكريمة على عدة أحكام أمر الله تعالى اتباعها وتطبيقها، ومنها اشتراطه سبحانه «الطهارة، لصحة الصلاة، وهذه الطهارة لا تجب بدخول الوقت وإنما تجب عند إرادة الصلاة. ولا تتم الطهارة إلا بالوضوء، وقد أخبر الله تعالى كيفية الوضوء في الآية نفسها وذكر فروضه المعروفة»[(٢)].

---

(١) تربية الطفل في الإسلام أطوارها وآثارها ص١٦٣.

(٢) تفسير السعدي ص٢٢٢.

كما تعرضت الآية إلى مشروعية التيمم بكيفيته الخاصة وأبانت أسبابه كالمرض والسفر وفقدان الماء.

و ـ تعليم الناشئة الآداب العامة:

القرآن الكريم منهج تعليمي لكافة جوانب الحياة الدينية والاجتماعية والأخلاقية، وهو منهج متكامل يبدأ مبكراً مع الإنسان من البداية ويأخذ بيده إلى النهاية في جميع أطوار حياته وسائر مراحلها، وكل علاقاتها وحركاتها وسكناتها، **ومن هذه الآداب التي دعا القرآن إلى اتباعها ما يلي:**

١ ـ تعليم الناشئة أدب السلام والاستئذان:

السلام والاستئذان يدعوان إلى المحبة والوئام، وهما من الآداب الإسلامية الرفيعة والتحية الإسلامية التي يتعارف بها المسلمون بعضهم على بعض، وقد أشار الله ﷻ إلى أهمية القيام بهما بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَآ﴾ [النور: ٢٧].

«وحين يدركُ الصغار سن البلوغ فإنهم يدخلون في حكم الأجانب الذين يجب أن يستأذنوا في كل وقت حسب النص العام الذي مضت به آية الاستئذان»(١).

وفي هذه الأحكام القرآنية دليل تيسير في شريعة الإسلام حيث راعى الشارع ظروف الخدم والمقربين الذين يعسر عليهم الاستئذان في كل ساعة.

٢ ـ تعليم الناشئة آداب المجلس:

من الآداب التي دعا القرآن الكريم إلى تعليمها للناشئة آداب

(١) في ظلال القرآن ٤/ ٢٥٣٢ بتصرف. ولمزيد من معرفة هذا الأدب. انظر: ص٣٤٩ من هذا البحث.

المجلس ومن آدابه التفسُّح في المجالس لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١﴾ [المجادلة].

«فهذا تأديب من الله لعباده المؤمنين إذا اجتمعوا في مجلس من مجالس مجتمعاتهم واحتاج بعضهم أو بعض القادمين عليهم لفسح المجال له في المجلس، فإن من الأدب أن يفسحوا له تحصيلاً لهذا المقصود، وليس ذلك بضار للجالس شيئاً، فيحصل مقصود أخيه من غير ضرر يلحقه هو، فإن من فسح، فسح الله له، ومن وسَّع لأخيه وسَّع الله عليه»[(١)].

٣ ـ تعليم الناشئة آداب التعامل مع الوالدين:

جاء بيان هذه الآداب في قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ٢٣ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤﴾ [الإسراء].

وقد تقدم الكلام عن هذه الآداب تفصيلاً في موضعه[(٢)]، وإنما ذكرناه هنا لارتباطه الوثيق بسياسة تعليم الناشئة؛ إذ لا غنى عن تعليمهم آداب معاملة الوالدين نظراً لكثرة مخالطتهم وعمق الصلة بينهم.

٤ ـ تعليم الناشئة آداب التعامل مع الآخرين:

وقد كانت هذه الآداب مجتمعة في الموعظة العظيمة التي وعظ بها لقمان ابنه في قوله: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ١٨ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ

(١) تفسير السعدي ص٨٤٦.
(٢) انظر: ص٢٥٦ من هذا البحث.

وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ [لقمان][(١)].

وفيها جماع أمور كلها عظيمة النفع في تعليم الناشئة أصول الاختلاط بمن حولهم **وهي كثيرة جداً**:

أولها: الحضّ على إقامة الصلاة وهي فريضة واجبة على المسلمين بها تستقيم حياة الإنسان، ويصلح شأنه.

وثانيها: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفيه ضرورة تعليم الناشئة ما هو معروف حتى يأمروا به، وما هو منكر حتى ينتهوا عنه، ونظراً لوقوع المشقة في ذلك أدَّب لقمان ولده بلزوم الصبر على ما أصابه لأن ذلك من عزم الأمور.

وثالثها: ما ينبغي أن يكون عليه الداعية وكل من يتعامل مع الآخرين بأن يكون متمثلاً لصفات عديدة تجعله إنساناً محبوباً مألوفاً عند الناس، فيكون ذلك مدعاة لاستجابتهم للخير الذي يدعوهم إليه، ومن واجب الآباء تربية أبنائهم على التخلق بهذه الصفات حتى يشبوا عليها وتصبح من طبيعتهم وكأنهم جبلوا على التواضع والحلم ولين الجانب.

❐ ثانياً: أساليب الآداب القرآنية للناشئة في مجال التعليم:

١ ـ التعليم الحسي المباشر:

يميل الطفل في طفولته المتأخرة إلى تقبل الآراء والحقائق عن الكبار، وتكون لديه قابلية كبيرة للاستهواء والانقياد، كما أن قدرته على التفكير المجرد تكون جيدة فيميل إلى الاحتكاك وأخذ القيم والمعايير عنهم، كما أنه في هذه السن يصبح قادراً على إدراك الخطأ

(١) تحدثنا عن هذه الآداب في المبحث الأول من هذا الفصل ص١٧٥.

والصواب[١]. «لهذا كان منهج التلقين المباشر لأساسيات الدين في هذه الفترة هاماً للغاية إذ إن الولد لا يفهم معظم تصرفات الكبار، فيكون تلقينه المفاهيم الصحيحة وسيلة سهلة جيدة في هذه الفترة خاصة وأن الولد مستعد للتقبل والاقتناع»[٢]. ونستلهم ذلك من تعليم الله تبارك وتعالى لآدم عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾﴾ [البقرة].

فالله سبحانه وتعالى خلق (آدم) ولم يتركه دون مساعدة بل علَّمه الأسماء كلها بصفاتها، وفي هذه الآيات الكريمة يوجهنا سبحانه وتعالى إلى أهمية معرفة أسماء الأشياء وصفاتها بطريقة مباشرة، وذلك هو البداية الرئيسة لتعليم الناشئة. وقد كان السلف رضوان الله عليهم يبدأون في تلقين أولادهم أساسيات الدين منذ الطفولة المبكرة عند ابتداء نطقهم، «وكان الغلام إذا أفصح من بني عبد المطلب علَّمه النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية سبع مرات» ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾ [الإسراء: ١١١][٣]، «وكان علي بن الحسين يعلم ولده يقول: «قل آمنت بالله وكفرت بالطاغوت»[٤]، وفي هذا العمل من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن السلف الصالح دليل على أن الطفل يختزن هذه المعلومات في حافظته وتشرب بها نفسه بالتكرار.

ومن هنا تتضح أهمية تلقين الولد الصغير هذه الشهادة العظيمة، إذ

---

(١) انظر: النمو النفسي، عبد المنعم وحلمي المليحي ص٢٦٣، وعلم النفس التكويني عبد الحميد محمد الهاشمي ص١٦١، وعلم نفس النمو، حامد عبد السلام زهران ص٤٦.

(٢) مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد ص٣٣٩.

(٣) المصنف في الأحاديث والآثار، لابن أبي شيبة، كتاب الصلوات، باب ما يستحب أن يعلمه الصبي أول ما يتعلم ١/٣٠٦.

(٤) المرجع السابق ١/٣٠٦.

يبدأ الأب بتلقينه «لا إلٰه إلا الله» اقتداء بالسلف رضوان الله عليهم ويلقنه معناها إذ كبر قليلاً.

وإذا عقل الولد.. على الأب أن يعلِّمه الحلال والحرام ويربطه بأحكام الدين والشريعة في كل قضية من القضايا التي تعرض له، ليستشعر الناشئ أنه محاط بشريعة وأحكام تنظم كل شؤون حياته.

فينبغي على المربي من آباء وأمهات ومعلمين أن يهتموا بتلقين الناشئ الخير وتعويده إياه منذ أن يعقل ويفهم حقائق الحياة حتى يكون من جنود الإسلام ومن رجال العقيدة والدعوة تفتخر الأمة بوجوده ويسعد المجتمع باتزانه وأخلاقه[١].

٢ ـ التعليم والتعلم من خلال الحواس:

لقد اهتم التعليم في القرآن الكريم بتربية الحواس وتدريبها والإفادة منها في التعليم[٢]، ولأهمية هذا الأسلوب في تربية الناشئة نبه ﷻ إلى أثر الحواس وأهميتها في تربية الإنسان وتعليمه؛ فقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل].

والتعليم والتعلم من خلال الحواس والعمل على تدريب تلك الحواس، «من أهم الأساليب التعليمية المؤثرة في عقل الناشئة وتنميته، فالمشاهدات الواقعية والتجارب العملية المحسوسة أو الملموسة تساعد هذا الناشئ على اكتساب العلوم والمعارف على اختلافها وتعدادها، فإذا ما قام الناشئ بلمس الأشياء ومعالجة بعضها بيده ورؤية ما يرى منها وسماع ما يُسمع، فإن حواسه ستنمو وتقوى وعقله يُثرى، ومهاراته

(١) انظر: تربية الأولاد في الإسلام، عبد الله علوان ص٥٠٧ ـ ٥٠٩.
(٢) أسس التعليم ومناهجه في ضوء القرآن والسُّنَّة، صالح الصوافي ٢/ ٢٩١.

ستزداد وتتطور»[١].

٣ ـ الوعظ والنصح:

«من أهم أساليب التربية المؤثرة في تكوين الناشئة إيمانياً، وإعداده خُلقياً ونفسياً واجتماعياً.. تربيته بالموعظة وتذكيره بالنصيحة لما للوعظ والنصح من أثر كبير في تبصير الناشئ بحقائق الأشياء، ودفعه إلى معالي الأمور، وتحلّيه بمكارم الأخلاق وتوعيته بمبادئ الإسلام»[٢].

وقد وجّه ﷻ في كثير من الآيات مواعظ كثيرة وخاطب النفوس بها، ومنها على سبيل المثال ما جاء من مواعظ لقمان لابنه في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ... ﴾ [لقمان: ١٣ ـ ١٩][٣].

وفي هذه الآيات الكريمة صور جميلة في تأديب الناشئة سيقت في مواعظ حكيمة تساعد الناشئ على أن يكون سوياً في كل شيء في دينه وأفعاله وأقواله، وفيها ضمان لسعادة الناشئة وسعادة الكبار معهم.

«فعلى المربين أن ينهجوا منهج القرآن الكريم في مواعظه وإرشاداته في إعداد أولادهم الصغار قبل سن التمييز وبعده ـ إيمانياً وخلقياً وتكوينهم نفسياً واجتماعياً»[٤]، ولا بد أن يكون الآباء قدوة لأبنائهم حتى تجد هذه الموعظة والنصيحة طريقها وأثرها في قلوب الناشئة وتكون أدعى للاستجابة وأبلغ في التأثير.

---

(١) تربية الطفل في الإسلام أطوارها وآثارها ص٢٢٧ بتصرف.
(٢) تربية الأولاد في الإسلام، عبد الله علوان ٢/ ٥١١ بتصرف يسير.
(٣) لم ترد جميعها لتقدم ذكرها مراراً في هذا البحث.
(٤) تربية الأولاد في الإسلام، عبد الله علوان، ٢/ ٥١٣.

٤ ـ القدوة:

مما لا شك فيه أن القدوة لها أثرها في التعلم وهي تؤثر تأثيراً بالغاً في تربية الطفل وفي تكوين قيمته وصورته عن ذاته المثالية والطفل يقتدي بوالديه وبمربيه.

وقد أشار القرآن الكريم إلى أهمية القدوة الحسنة، وضرورة التعلم من خلال أعمالها وأفعالها وأقوالها، ولا شك أن القدوة الأولى للمسلم هو رسول ﷺ في سلوكه وسيرته وأقواله وسائر أحواله[1]. ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب].

وكان ﷺ إذا جاء مجلس أصحابه جلس منهم حيث انتهى به المجلس، وكان يمازح أصحابه ويخالطهم ويحادثهم، ويداعب صبيانهم، ويجيب دعوة الحر والعبد، ويعود المرضى ويقبل عذر المعتذر، وبدأ من لقيه بالسلام، بالمصافحة، وقد وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة مصرِّحة بهذا الأسلوب والتوجيه المباشر لاتخاذ القدوة مثل قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾﴾ [الممتحنة].

وقد سبق أن ناقشنا مسألة القدوة الصالحة في هذا البحث مراراً

(١) انظر: أسس التعليم ومناهجه في ضوء القرآن والسُّنَّة، صالح الصوافي ٢/٢٩٦، ٢٩٧.